اعتراضنا موجه اساسا الى المسيحيين الذين يساندون الصهيونية استنادا الى قراءة « اصولية »للكتاب المقدس · ولكن في المقابل ، مقاومة الصهيونية السياسية داخل اليهودية كانت ولا تزال بالغة الاهمية · ففي عام ١٩١٧ كانت اكثرية اليهود معادية للصهيونية ، باعتبار ان مشروع انشاء دولة زمنية هو مجرد هرطقة ، (ولا تزال بعض المجموعات اليهودية الارثوذوكسية تتبنى هذا الرأي) · او مغامرة خطيرة · في ذلك الزمن ، يكتب مدير الرابطة اليهودية العالمية : « لم نغير رأينا حول مخاطر الصهيونية ولا نزال مقتنعين بأن هذه الحركة سوف تنتهي الى الفشل او ربما الى الكارثة (٩) » ·

منذ ذلك التاريخ ، والمنظمة الصهيونية العالمية ، تعمل على احاطة الطوائف اليهودية المختلفة بتنظيم نشط ، وتوجيهها للتفاني المطلق والتماثل مع الدولة اليهودية · ـ عبر الجباية المالية ، والتأييد المطلق دون شروط للسياسة الاسرائيلية ، التنبيه من خطـــر الاندماج والحث المتواصل على الهجرة الى اسرائيل ـ ولكن ، حتى في اسرائيل نفسها ، بدأ الكثيرون في التساؤل حول حقيقة ايديولوجيا هذه الدولة ، دون ان يعيدوا النظر في وجودها ·

ولكن ، الذي يهمنا هنا ، اكثر من المضمون الايديولوجي للصهيونية وللتمييز العنصري، هو استنادهما الى سياسة تمييز واحتقار تجاه البيض وغير اليهود · هذا « التمايز » يبرر دائما بعبارات « التفوق » و « عدم الاندماج » · فدستور اتحاد جنوب افريقيا لا يأتي الى ذكر الافريقيين · ووعد بلفور لا يشير الى وجود الشعب الفلسطيني الا تلميحا· « السكان غير اليهود » يعترف رئيس المجلس اليهودي العالمي ناحوم غولدمان ·· « ان احدى نقاط الضعف الاساسية في الحركة الصهيونية منذ انشائها ، هي تجاهل اهميـة المشكلة التي يطرحها العالم العربي (١٠) » ·

عندما يجري الحديث عن « السكان الاصليين » ، تأتي اللهجة احتقارية أو ابوية في افضل الحالات · فهم اناس « بدائيون » و « دونيون » · وفي الادبيات الجنوب ـ افريقية « نجد الصفات التي تستخدمها العنصرية ، مؤكدة هنا الاف المرات · فابن البلد كسول ، ضعيف ، جبان ، ساذج ، لص ، داعر ، ويملك بالتالي جميع المؤهلات كي يصبح قاتـلا لاسياده البيض (١١) » ·

يردد صدى هذا الازدراء في صفوف الاجيال الشابة · ويدين تقرير للاونيسكو تأثير نظام التمييز العنصري في المجال المدرسي · حيث الكتب المدرسية تؤدي الى نشوء مشاعر عنصرية تجاه الافريقيين عن طريق العبارات المستخدمة ·

منذ فترة وجيزة ، ابدى بعض الاسرائيليين قلقهم تجاه المضمون العنصري للكتب التي يأخذها اطفالهم من المكتبات المدرسية · وعادة يدور موضوع الكتاب حول مهارة شاب اسرائيلي يهودي لا يملك غير الذكاء · لكنه يتمكن من احباط مؤامرة يدبرها بعض العرب من ذوي الطبيعة الغادرة والاغبياء · ووثيقة « كينيغ » التي صدرت حديثا ، تأتي برهانا على نمط التفكير هذا : « الطبيعة العربية الشرقية ، السطحية ، غير المتعمقة ، والتي تتميز بعمل الخيال اكثر من عمل العقل (١٢) » · وحول الموضوع نفسه ، يلاحظ معلق اسرائيلي: « هذه الايديولوجيا عنصرية تماما · وهذه الطريقة في وصف مجموعة بشرية على انهـا متخلفة ومختلفة ، استعملت دائما لتبرير سياسة تمييزية · ولا يوجد اي فرق بين هذه العموميات والتعريفات التي كان يدلي بها اللاساميون » ·